تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الإعراض عنه فقال : { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه قال ابن جرير : حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه Bه قال : تلا رسول ا صلى ا عليه وسلّم يوما { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } فقال شاب من أهل اليمن : بل عليها أقفالها حتى يكون ا تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر Bه حتى ولي فاستعان به ثم قال تعالى : { إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى } أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر { من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم } أي زين لهم ذلك وحسنه { وأملى لهم } أي غرهم وخدعهم { ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل ا سنطيعكم في بعض الأمر } أي ما لؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون ولهذا قال ا D : { وا يعلم إسرارهم } أي ما يسرون وما يخفون ا مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى : { وا يكتب ما يبيتون } .

ثم قال تعالى : { فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } أي كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى : { ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } الاية وقال تعالى : { ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم } أي بالضرب { أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على ا غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون } ولهذا قال ههنا : { ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط ا وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم }